**بين القصرين**

**نجيب محفوظ**

**١**

**عند منتصف الليل استيقظت، كما اعتادت أن تستيقظ في هذا الوقت من كل ليلة بلا استعانة من منبّه أو غيره ولكن بإيحاء من الرغبة التي تبيت عليها فتواظب على إيقاظها في دقة وأمانة. وظلت لحظات على شك من استيقاظها فاختلطت عليها رؤى الأحلام وهمسات الإحساس ... .**

**...**

**هي العادة التي توقظها في هذه الساعة، عادة قديمة صاحبت شبابـها منذ مطلعه ولا تزال تستأثر بكهولتها، تلقنتها فيما تلقنت من آداب الحياة الزوجية، أن تستيقظ في منتصف الليل لتنتظر بعلها حين عودته من سهرته فتقوم على خدمته حتى ينام. وجلست في الفراش بلا تردد لتتغلب على إغراء النوم الدافيء وبَسْمَلَت ثم انزلقت من تحت الغطاء إلى أرض الحجرة، ومضت تتلمس الطريق على هدى عمود السرير وضلفة الشباك حتى بلغت الباب ففتحته ... .**

**...**

**كانت المشربية تقع أمام سبيل بين القصرين، ويلتقي تحتها شارعا النحاسين الذي ينحدر إلى الجنوب وبين القصرين الذي يصعد إلى الشمال، فبدا الطريق إلى يسارها ضيقاً ملتوياً متلفعاً بظلمة تكثف في أعاليه حيث تطل نوافذ البيوت النائمة، ووتخفّ في أسافله مما يلقى إليه من أضواء مصابيح عربات اليد وكلوبات المقاهي وبعض الحوانيت التي تواصل السهر حتى مطلع الفجر، وإلى يمينها التفّ الطريق بالظلام حيث يخلو من المقاهي، وحيث توجد المتاجر الكبيرة التي تغلق أبوابـها مبكراً، فلا يلفت النظر به إلا مآذن قلاوون وبرقوق لاحت كأطياف من المَرَدة ساهرة تحت ضوء النجوم الزاهية ... .**

**...**

**٢**

**وانتهى الرجل إلى موقفها فراحت تتقدمه رافعة المصباح، فتبعها وهو يتمتم:**

* **مساء الخير يا أمينة.**

**فقالت بصوت خفيض ينم عن الأدب والخضوع:**

* **مساء الخير يا سيدي.**

**وفي ثوانٍ احتوتـهما الحجرة، فاتّجهت أمينة إلى الخوان لتضع المصباح عليه، في حين علّق السيد عصاه بحافة شباك السرير وخلع الطربوش ووضعه على الوسادة التي تتوسط الكنبة، ثم اقتـربت المرأة منه لتنزع عنه ملابسه ... .**